مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) المجلد الثاني عشر – العدد الأول ، ص37- 50 ، يناير2004م

بعض ظواهر التصحيف والتحريف في ديوان المتنبي شرح أبي البقاء العكبري

محمد جواد النوري

كلية الآداب – جامعة النجاح الوطنية

ملخص: يتناول هذا البحث دراسة انتقائية لبعض الأدبيات الشعرية ، التي اخترناها من ديوان أبي أبي الطيب المتنبي ، بشرح أبي البقاء العكبري ، والتي لحق بعض مفرداتها شئ من آفتى التصحيف والتحريف ، الأمر الذي أدى ، في رأينا إلى التكلف في شرحها ، الشطط في تفسيرها .

إن ديوان المتنبي ، الذي قام بشرحه عالم لغوي كبير ، هو أبو البقاء العكبري ، وحظي بتحقيق نخبة من علماء اللغة المحدثين ، بحاجة ، في تقديرنا ، إلى إعادة تحقيق وشرح و إخراج ، وذلك لكثرة ما اعتوره من أخطاء الطباعة ، وأخطاء التصحيف والتحريف ، وعدم الدقة في ضبط بعض البنى الواردة في الشعر، وشروحه المرافقه .

ولا شك لدينا في أن الإبقاء على الأخطاء المذكورة في الديوان ،من شأنه أن يؤدي الى عدم الدقة في القراءة ، وما يمكن أن يترتب على ذلك من لبس في الفهم ، وسوء في التقدير .

إن ما نقوم به في هذه الدراسة المتواضعة هو محاولة لإضاءة الطرييق من اجل دراسة أوسع ، في قابل الأيام ، تهدف إلى تنقية هذا الديوان الشعري الثمين وتبرئته من أية شوائب لا تتناسب ومكانه صاحبه ، وشارحه ، ومحققيه .

والله نسأل أن يجعل عملنا هذا خالصا لوجهة الكريم ، وان يحقق من ورائه خدمة للغتنا الشريفة، لغة قرآننا العظيم .

مقدمة

تعود صلتنا بالمتنبي وشعره الى أيام الحداثة ، عندما تفتحت عيوننا على الأدب ، نقرؤه فتستمتع به نفوسنا بما اشتمل عليه من عواطف جياشة وآخيله مجنحة ، ومعان سامية ، وصور معبرة . ولقد كان نصيب أبي الطيب، من ذلك الاهتمام ، وتلك العناية ، يحتل على نحو خاص ، مكانة بارزة . ثم توثقت تلك الصلة مع الأيام ، وتعمقت قراءتنا لما كنا نطالعه في تلك الأيام الخوالي . فأصبحنا نناقش – في أثناء قراءتنا – كثيراً من المسائل والقضايا مما اعتدنا قراءته دونما مناقشة أو توثيق . فبدأنا نشعر بأننا نعيش ، مع أبي الطيب ، نوعا جديدا من الحياة الأدبية ، نناقش فيها أقواله ، ونحاور في ظلها نصوصه . ولقد مكنا هذا كله من سبرأغور ذلك الشاعر الكبير ، والتعرف إلى مراميه ، والوقوف أمام بعض صوره الفنية متمثلين ما كان يعتمل في أعماقه من معان وأفكار ، وما كاي يجيش في نفسه منمشاعر وأحاسيس ، ثم وصل بنا الأمر إلى مرحلة ، أصبحنا فيها – لفرط الاهتمام – لا نسلم ببعض ما يقوله الشراح في تفسيرهم لبعض أبياته ، ولا نقنع بما يذهبون إليه من تأويل لبعض صوره .

ثم كان لنا أن اطلعنا على الكتاب القيم الذي ألفه استاذنا الدكتور رمضان عبد التواب حول " مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين " الذي صدرت طبعته الأولى بالقاهرة عن مكتبه الخانجي سنة 1986م . ففتح لنا

هذا الكتاب – بحق – آفاقا ، في البحث والتدقيق والدرس ، لا نستطيع انكارها ، وعزز نظرات لنا كانت حبيسة الصدر ، وقلنا في انفسنا : لعل مرد بعض الخلافات القائمة بين تصور شراح المتنبي ، وما أشكل علينا، وعلى غيرنا أيضا ، من فهم ووضوح ، يعود إلى تصحيفات أو تحريفات أعترت بعض الكلمات ، وانتابت بعض التراكيب ، الأمر الذي أدى إلى زعزعة ، أو لنقل زحزحة بعض الصور أو المعاني عن المقصود الذي أراده أبو الطيب وابتغاه .

إن مشكلة التحريف والتصحيف ، التي يمكن أن تصيب بنى الكلمات والتراكيب ، وما يمكن أن ينجم عنها من تغيير للمعنى المقصود ، هي من الأمور التي يجب النظر إليها ، من قبل الباحث المدقق ، باهتمام وحرص شديدين ، فهي ليست مشكلة مقصورة على تراثنا القديم فحسب ، وإنما هي مرض لا يبرأ منه أدبنا منه أدبنا الحديث . ولعلنا نستطيع توضيح ما نريده ، من كلام هنا ، بإعطاء مثال قريب العهد منا .

فقد عكفنا ، قبل فترة قصيرة ، على دراسة شعر شوقي ، وذلك من خلال ديوانه الذي قام بتحقيقه أستاذنا المرحوم الدكتور أحمد الحوفي ، فأحصينا ، في بحث لنا عن هذا الديوان ، عددا كبيرا من الكلمات والتراكيب التي عدا عليها مرض التحريف أو التصحيف .

ولسنا ندري أن كان من حين الطالع أو سوئه أن أورد أستاذنا المرحوم في الديوان صفحة جاءت فيها أبيات لشوقي بخط يده ، بوصفها نموذجاً لبعض الوثائق التي اعتمد عليها في أثناء جمعه لمواد الديوان وتحقيقه لها . وقد وقعنا في أثناء قراءتنا لتلك الصفحة على قول شوقي :

مزاح تقل عليه الهموم * * * وتقصر ساعاتها القاتلة

ثم فوجئنا ، في أثناء إطلاعنا على طباعة المحقق ، لهذا البيت ، أن استاذنا قرأ كلمة " مزاح " على أنها "فراح"، لا لشئ إلا لأن نقطة الزاي جاءت منحرفة – لكونها مكتوبة بخط اليد – نحو اليمين بالقرب من الميم ، ثم شرع أستاذنا المحقق ، بناء على هذه القراءة ، في شرح البيت من منطلق اشتماله على كلمة " فراح" لا "مزاح " .

إن التصحيف ، الذي أشرنا إليه هنا ،وهو لا يعدو أن يكون مثالاً عابرا ،قد ورد في صفحة حديثة مكتوبة بخط يد صاحبها ،قبل فترة وجيزة ، كانت فيها الكتابة ووسائلها متيسرة إلى اقصى حد ، مما أدى إلى وقوع خطأ في القراءة ، فالفهم ، ثم الشرح ، نقول :إذا كان هذا الأمر ممكنا في كلام كتب بالأمس القريب، فما بالنا بكلام قد تمت كتابته ، في عصور سحيقة في القدم بوءائل بدائية عزيزة المنال ، المتوقعه هو أن نجد مثل هذا وأضعافه ، وهذا ما حدث فعلا .

ونعود الآن إلى ديوان أبي الطيب فنقول : لقد اعتدنا قراءة المتنبي من مصادر مختلفة قديمة وحديثة . غير أن ديوان المتنبي ، الذي شرحه العكبري ، قد استأثرا ، أكثر من غيره ، باهتمامنا لأسباب أهمها : –

(1) أن شارحه ، وهو أبو البقاء العكبري ، قد " حاز – كما ذكر شارحو ديوانه – قصب السبق في العربية ، وصار فيها من الرؤساء المتقدمين ، وقصده الناس من الأقطار ، حتى كان في آخر عمره أعلم أهل زمانه بفنونه ، كما كان ثقة صدوقاً بنقله وبحكيه ،غزير الفضل ،كامل الأوصاف ، كثير المحفوظ دينا ، حسن الأخلاق ، متواضعا ،رقيق القلب ، سريع الدمعة " (1)

(2) أن العكبري لم يكن منغلق الفكر والعقل ، عندما شرع في شرح ديوان أبي الطيب ،وإنما فتح عقله وفكره

،واستلهم جل ما قاله المتقدمون عليه من شرح ديوان المتنبي ،فجاء شرحه معرضا حافلاً بالآراء المختلفة التي قيلت حول شاعرية أبي الطيب وشعره . فهو يقول : –

" وجمعت كتابي هذا من أقاويل شراحه الأعلام ، معتمدا على قول إمام اقول المقدم فيه ،الموضح لمعانيه، المقدمفي علم البيان ،أبي الفتح عثمان (يعني ابن جني) ، وقول إمام الأدباء ، وقدوة الشعراء ، أحمد بن سليمان أبي العلاء (يعني المعري) ، وقول الفاضل اللبيب ، إمام كل أديب أبي زكريا يحيى بن على الخطيب (يعني التبريزي) ، وقول الإمام الأرشد ، ذي الرأي المسدد أبي الحسن علي بن أحمد (يعني الواحدي) ، وقول جماعة ،كأبي علي بن فورجة ، وأبي الفضل العروضي ،وأبي بكر الخوارزمي ،وأبي محمد الحسن بن وكيع ، وابن الافليليي ". (2)

ومعنى هذا أن العكبري قد استوعب ، في كتابه ، شروح الأخري وآراءهم حول أشعار أبي الطيب ، وأن فيه الغناء – في كثير من الحالات – عن تلك الكتب الكثيرة والآراء المتناثرة ، هنا وهناك ، حول أبيات الديوان .

(2) أن من قام بضبط هذا الشرح ، وتصحيحه ، ووضع فهارسه ،كانوا من العلماء الأجلاء المشهود لهم في ميدان البحث اللغوي ، والدرس الأدبي ، والنظر في التراث : ونعني بهم الأساتذة : – " مصطفى السقا ، وإبراهيم الأبياري ، وعبد الحفيظ شلبي " غير أن شرحهم للديوان – وهذا الأمر سنتصدى لدراسته في مناسبة أخرى – لم يأت في المستوى المطلوب ، نظراً لكثرة ما اشتمل عليه كتابهم من أخطاء طباعية وتركيبية ، وما تضمنه من تصحيف وتحريف ، فضلا عن حاجته يتناسب مع مكانه صاحبة صاحبة أبي الطيب ، وشارحه أبي البقاء .

وتتناول دراستنا ، لهذا الديوان ، بعض الأبيات ، التي اعتقدنا وجود تصحيف أو تحريف في بعض كلماتها. وسنقصرذلك على الأبيات التي اتضحت فيها هذه الظاهرة على نحو جلي ،مما إدى – في نظرنا – إلى وقوع افتعال في الشرح ، وتكلف في التأويل ، وتعقيد في
العرض .

وسوف تدور دراستنا لهذا الكتاب – من ناحية أخرى – حول الأبيات ، التي اشتركت الكتب المختلفة لهذا الديوان ، في إيرادها على نحو واحد ، اما الأبياتن اتلتي وردت مختلفة النص في تلك كالكتب فلم تدخل دائرة اهتمامنا .

1) جاء في 17/19/1 قوله

جمد القطارُ ولو رآته كما تَرى بُهتَتْ فلم تتبَّجس الأنواء

والصواب – في رأينا _ هو :

جمد القطار ولو رأته كما نرى بهتت فلم تتبجس الأنواء

وقد شرح العكبري هذا البيت بقوله :

إن القطار ، لما رات كرم هذا الممدوح جمدت ، جعل الثلوج المطر الجامد ،ولو رأت الأنواء كما رأت القطار تحيرت ،ولم تنفتح استعظاماً لما يأتيه ،وخجلا من جوده .

والصواب – في رأينا – هو ما ذكرنا آنفا . فيكون المعنى – من هذا المنطلق على النحو التالي :

" لو أن الأنواء رأت الممدوح كرؤيتنا له ، لراعتها هيبته ، فلم تصدر عنها قطرة ماء قط ."
وهذا التفسير، الذي قدمناه هنا ، من شأنه أن يخفف حندة التعقيد ، الذي اتسم به تركيب البيت ، على النحو الذي أورده الشارح ، فقوله :رأته يشتمل على ضمير فاعل غائب مؤنث يعود على متأخر هو "الأنواء " وقوله " ترى " ، يشتمل أيضا على ضمير فاعل غائب مؤنث يعود على متقدمهو : " القطار " ، ولا شك في أن اشتراك هذين الفعلين ، في ضميرين متطابقين ، من حيث الغيبة والتأنيث ، يؤدي إلى لبس وتعقيد شديدين . ونحن نرى أن الشكل الذي اقترحناه لكلمة " ترى " يعدم شرحا واضحا ، وتفسيراً سهلا للبيت دونما غموض أو تقدير .
ويرشح هذا ، الذي نذهب إليه هنا ، كثرة ورود مثل هذه الصور الشعرية ، التي يرسم فيها أبو الطيب ذهول الناظرين إلى ممدوحيه ، لشدة هيبتهم في النفوس، في شعره

2) وجاء في1/71/1 قوله

أحسنُ ما يُخضبُ الحديدُ به   وخاضِبيه النجيعُ والغضبُ

والصواب – فيما نرى –هو :

أحسن ما تَخْضَبُ الحديدَ به   وخاضبية النجيعُ والغضب

وقد نقل العكبري شروحا مختلفة غير شافية لهذا البيت ،وذكر اليازجي أن الشراح قد اضطربوا في تفسيرهم لهذا البيت . والحق هو ما قاله اليازي ، وإنكان هو نفسه قد اجتهد في إيراد شرح حمل فيه البيت مفاهيم فيها من التقدير ما لا يحتملها ، فقد افترض وجود خضابين هما : النجيع وال1هب ، وخاضبين هما: الغضب والصيقل الذي يقوم بتذهيب السيوف . وعلاوة على ذلك ، فقد قرأ بعض الشرح كلمة " خاضبيه " على أ،ها مثنى، وقرأها بعضهم – كما ورد معنا هنا – على أنها جمع ، فضلا عن ذهاب بعضهم إلى أن الواو السابقة ، على هذه الكلمة ، هي واو القسم ، وذلك في محاولتهعم تسويغ ورود كلمة " " خاضبيه " منصوبة أو مجرورة.
ومما لا شك فيه أن في هذا الكلام من الاضطراب والتمحل ما لا يمكن للنص أن يحتمله . ونحن نرى أن قراءة البيت ، على النحو الذي أوردناه ، تطابق، أو لنقل تقارب ، ما كان في ذهن المتنبي، فضلا عن كونها تساعد في إزالة الحيرة والاضطراب اللذين وقع فيهما الشراح .
أما بالنسبة للمعنى ، الذي يمكن الخروج به لهذا البيت ، من خلال قراءتنا المعترحة له ، فهو :
" إن أفضل ما تخضب به أيها الممدوح السيف (الحديد) ، والقتلى (خاضبيه ،أي المخضوب بدمهم) يتمثل في الدم الأحمر للحديد ،والغضب الذي تحمر به الوجوه لقتلى ".
ولذلك فقد وجدنا الشعر يخاطب سيف الدولة – في البيت التالي مباشرة – قائلا:

فلا تشيننهُ بالنُّضار فما   يجتمعُ الماء فيه والذهبُ

أي اقتصر في خضابك السيف على دماء القتلى وغضبهم ، ولا تشن السيف بخضاب آخر كائنا ما كان ، ولو ذهبا .

3) زجاء في 23/101/1 قوله

وقد يئسوا من لذيذ الحياة   فعين تغور وقلب يجب

وفي رأينا أن الصواب هو :

وقد يئسوا من لذيذ الحياة   فعين تدور وقلب يجب

فعلاوة على إمكان وقوع التحريف في كلمة تدور ، فان وجيب القلب الذي تحدث عنه الشاعر في هذا البيت ، والذي كان ناجما عن حالة الخوف والحيرة ،يستدعي وصف العين بما يحدث لها في مثل هذه الحالة من اضطراب " دينامي " متصل ، يتمثل في الدوران وعدم الثبات ، ولا يتمثل في حركة "استاتيكية: وحيدة هي الاستقرار في داخل الرأس .

وقد استعمل هذا التعبير ، ونعني " دوار العين " في حالة الخوف والذهول والاضطراب في القرآن الكريم والأدب بعامة ، بل في شعر أبي الطيب نفسه فقد جاء في الآية (19) من سورة الأحزاب قوله تعالى : " ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت "

وجاء هذا التعبير أيضا عند المتنبي في 12/308/2 :

أدرت عيونا حائرات كأنها   مركبة إحداقها فوق زئبق

4) وجاء في 14/125/1 قوله :

يستصغر الخَطَرَ العظيم لوفْدِه   ويظن دجلة ليس تكفي شاربا

5) وفي رأينا أن القراءة الصحيحة لهذا البيت هي :

يستصغر الَخِطْرَ العظيم لوفده   ويظن دجلة ليس تكفي شاربا

وقد شرح العكبري هذا البيت بقوله : إنه : أي الممدوح ،يستصغر الشئ العظيم لقاصده لكرمه ، ويظن من كرمه ، وكثرة عطائه أن هذا النهر– أي نهر دجلة – ليس يكفي شاربا .

وفي رأينا أن هذا الشرح لا يحقق الاتصال الدلالي بين شطري البيت ، فضلا عن ركاكة معنى صدر البيت وهزاله . فالشاعر – في هذا البيت – يريد أن يصف ممدوحيه بالكرم على نحو خاص ، ولعلنا نلتمس الدليل على ذلك بتعقيب الشاعر في البيت التالي بقوله :

كرما فلو حدثته عن نفسه   بعظيم ما صنعت لظنك كاذبا

ومعنى البيت – من منطلق قراءتنا – هو :

" إن المأدبة التي يعدها الممدوح لضيوفه ،هي مأدبة ضخمة تذبح فيها أعداد كبيرة من الإبل والغنم ، ومع ذلك ،فانه ، لشدة كرمه ، يستصغرها ، بل إنه لا يرى في مياه دجلة ، مع كثرتها ، مياهاً كافية لسقي هؤلاء الضيوف وريهم .

فكلمة " الخطر التي اعتبرناها قد حرفت إلى " الخطر "، تعني ، فيما تعنيه، الإبل الكثيرة ، كما تعني مائتين من الغنم والإبل ، وقيل : هي من الإبل أربعون ، وقيل : ألف وزيادة

5) وجاء في 35/144/1 قوله

ونالوا ما اشتهوا بالحم هزما   وصاد الوحش نملهم دبيبا

والصواب – في رأينا _ هو :

ونالوا ما اشتهوا بالحزم هونا   وصاد الوحش نبلهم دبيبا

وقد علل الشراح استعمال المتنبي " للوحش والنمل" على أنه رمز لتحقيق أصعب الأهداف بأهون الوسائل.

وفي رأينا أن الشرح ، الذي قدمه المفسرون لهذا البيت ، على النحو الذي أورده ، لا يرتبط بالمناخ

الذي أحاط بالقصيدة ، ولا يتصل أيضا بالصفة التي كان يتسم بها الممدوح ، أو الممدوحون ، وهي المهارة في الرمي ، كما أننا لا نرى وجها سليما لاستعمال كلمة "نمل " هنا ، إذ لا رابط يجمع بين صيد الوحش ودبيب النمل .

وزيادة على ما سلف ، فان كثيراً من الأبيات السابقة ، لهذا البيت ، جاءت لترشيح كون البيت على النحو الذي ذهبنا إليه ، وهو أن الممدوحين كانوا يحققون رغباتهم ومآربهم متسلحين بالحزم دونما عناء ، كما أن نبالهم كانت _ لشهرتهم في الرمي – تصيد الوحش ، وهي تتجه نحوه على هينتها دونما إسراع .

6) وجاء في 15/249/1 قوله

شمنا وما حجب السماء بروقه   وحراً يجود وما تراه الريح

والصواب – في تقديرنا – هو : –

شمنا وما حجب السماء بروقه   وحياً يجود وما مرته الريح

وقد قدر بعض الشراح ، كالعكبري ،قوله :" حرا" بأن الممدوح جديربأن يجود دونما سؤال ، في حين قدر آخرون ، كاليازجي والبرقوقي ، قوله : " حرا " على أنه على حذف موصوف هو : سحاب حري أن يجود .

وفي رأينا أن المعنى ، الذي قصده الشاعر ،يختلف عن تصورات هؤلاء العلماء وتقديراتهم. فهو – أي الشاعر _ يريد – فيما نرى – أن يقول : \

" لقد توسمنا في الممدوح برقا منيرا من البشر لا تحجبه السماء كغيره من البروق ، كما توسمنا فيه أيضا (حيا) أي مطرا من العطايا المتدفقة من ذات نفسه ، فهو يختلف – في هذا – عن المطر الذي يسوقه الريح في تدفقه.

وقد استعمل المتنبي هذه الكلمة أي (حيا) مع الفعل شام في قوله : (1)

وأحسن من ماء الشبيبة كله   حيا بارق في فازة أنا شائمه

7) وجاء في 30/275/5/1 قوله

فتى يشتهي طول البلاد ووقته   تضيق به أوقاته والمقاصد

والصواب – فيما نرى – هو :

فتى يشتهي طول البلاد ووقته   تضيق به أوباته والمقاصد

ولا وجه ، فيما نعتقد ، لاستعمال كلمة " أوقاته " في عجز البيت ، إذ كيف يضيق وقت سيف الدولة بأوقاته . ولهذا فإننا نرى أن كلوة " أوقاته " هي تحريف لكلمة أوباته . والمعنى – بناء على ذلك – هو :

" إن سيف الدولة يشتهي أن يطول به المكان لعظم ما في نفسه من مطامع ورغبات ، ولكن وقته ضيق لا يتسع لتحقيق ما يكرره من غزو وقفول (أي مقاصده واوباته).

ويدعم هذا التصور ما ورد في البيت التالي مباشرة حيث يقول :

أخو غزوات ما تغب سيوفه   رقابهم الا وسيحان جامد

8) وجاء في 36/76/2 قوله :

تستوحش الأرض أن تقربه   فكلها انه له جاحد

والصواب – فيما نعتقد – هو :

تستوحش الأرض أن تقربه   فكلها انف له جاحد

وقد نقل العكبري عن ابن القطاع قوله : إن جميع من روى هذا البيت صحفه وقرأه على النحو التالي : إنه له جاحد . ولكنه – أي ابن القطاع – قدر أن تكون الرواية الصحيحة لهذا البيت هي كما أورد ، أي بقوله ... أنه له جاحد .

وفي رأينا أن السياق يقتضي أن تكون هذه الكلمة على غير ما قدره ابن القطاع ، أو من تحدث عنهم ابن القطاع من الرواة والشراح . ونعني بذلك أن تكون الكلمة على النحو الذي اقترحناه وهو " انف " ، فتألفت هذه الكلمة بدورها مع كلمة " جاحد " الواردة في نهاية البيت في تكوين صورة متكاملة لرفض الأمكنة كلها تقبل المهجو. ولا وجه – في رأينا – لإسناد صفة " آنه " للمعنى الذي أورده ابن القطاع للأرض، أو الأمكنة .

وتجدر الإشارة إلى أن اليازجي قد اختار كلمة "منكر" بدلاً من كلمة "آنه" ، أو "إنَّه". وهذه الكلمة ، التي لا يمكن أن تكون تصحيفاً أو تحريفاً للأصل المتفق في الرسم ، ترشح دلالياً الكلمة التي اقترحناها للأصل وهي "آنف" .

ومن الملاحظ أن هذه الكلمة المقترحة ومشتقاتها ليست غريبة عن المعجم الشعري للمتنبي ، فقد وردت في 2/210/1 في قوله :

لا جزعنا بل أنفا شابه   أن يقدر الدهر على عضه

كما وردت في 2/261/1 في قوله :

يأنف من ميتة الفراش وقد   حلّ به أصدق المواعيد

9) وجاء في 2/145/2 (117) قوله

شربت على استحسان ضوء جبينه   وزَهْرٍ ترى للماء فيه خريرا

وفي رأينا أن في كلمة " زهر " تحريفاً، وأن الصواب هو :

شربت على استحسان ضوء جبينه   ونهر ترى للماء فيه خريرا

وقد تجاوز العكبري واليازجي والبرقوقي شرح هذا البيت . وقد يكون السبب في ذلك راجعاً إلى الغموض الذي يكتنف عجز البيت، أوعائداً إلى الصورة الشعرية غير المستقيمة فيه، إذ كيف يمكننا أن نرى خريرا للماء في الزهر، فالأقرب إلى المعنى أن يكون عجز البيت كما اقترحنا وهو :

شربت على استحسان ضوء جبينه   ونهر ترى للماء فيه خريرا

فينسجم بذلك المعنى . ويرشح هذا الذي ذهبنا إليه أن الممدوح وهو أبو محمد الحسين ابن عبد الله بن طفج، كان يقيم في مدينة الرملة الفلسطينية التي يوجد فيها نهر يعرف باسم نهر " روبين " .

10) وجاء في 13/177/2 قوله

سله الركض بعد وهنٍ بنجدٍ   فتصدى للغيث أهل الحجاز

وفي اعتقادنا أن الصوابَ هو :

سله الركب بعد وهن بنجد   فتصدى للغيث أهل الحجاز

وقد شرح العكبري هذا البيت بقوله :

لما ركضت الخيل بعد وهن خرج من الغمد، فرأى أهل الحجاز بريقه فظنوه برقا، فارتقبوا المطر .

ولا شك – فيما نرى – أن الصورة التي يقدمها هذا البيت، أو لنقل صدره، على وجه خاص، على النحو الذي أورده الشراح، صورة غريبة وغير مقبولة، إذ كيف يمكن إسناد سل السيف إلى الركض . وفي رأينا أن الصواب هو إسناد سل السيف إلى صاحبه، وذلك من أجل تحقيق هذه واع .

ولعلنا نلتمس الدليل والدعم، لما نذهب إليه، من استشهاد ابن جني، وهو يشرح هذا البيت بقول الوائلي :

ما سلّه أهل الحجاز لحاجة الا يبشِّر بالسحاب الشّاما

ويرى ابن جني أن أبا الطيب قد نقل في بيته هذا المعنى الذي سبق إليه الوائلي .

11) وجاء في 22/199/2 قوله

ولحظْتُ أنمله فسلت مواهبا ولمسْت مُنْصلة فسال نفوسنا

وفي رأينا أن القراءة الصحيحة للبيت هي :

ولحظت أنمله فسلت مواهبا ولمَحْتُ منصله فسال نفوسا

ولقد أورد الشاعر في صدر البيت السابق لهذا البيت حديثا عمّا سمعه عن الممدوح، ثم انتقل، في عجز ذلك البيت، والبيت الذي نحن بصدده هنا، للحديث عن معاينته له فقال في البيت السابق :

لما سمعت به سمعت بواحد ورأيته فرأيت منه خميسا

فمثلما رأى في ممدوحه، في عجز هذا البيت، جيشاً كاملا، كذلك فقد رأى في أنامله، في البيت الذي نتحدث عنه هنا، فيضاً متدفقا من العطاء، وفي سيفه أرواحا مزهقة كثيرة العدد .

ونحن لا نرى أية ضرورة لتحميل النص معاني إضافية فائضة عن البيت السابق له، كأن يطلب الشاعر من الممدوح الاستنصار على أعداء موهومين له . وكل ما في الأمر أن الشاعر استخدم للتعبير عن صورته الشعرية، حاستي السمع والبصر . وقد وظَّف الشاعر الحاسة الأولى في صدر البيت الأول، في حين وجدناه يوظف حاسته الثانية في عجز البيت الأول والبيت الثاني .

12) وجاء في 10/361/2 قوله

لولا اللَّئام وشيء من مشابهة لكان الأمَ طفلٍ لفّ في خرق

وفي رأينا أن الصواب هو :

لولا اللِّثام وشيء من مشابهة لكان الأمَ طفلٍ لُفَّ في خرق

وقد ذهب العكبري، في شرحه لهذا البيت، إلى أنه لولا انتماء المهجو إلى آباء لئام، وبعض المشابهة بينه وبينهم، لكان هو المهجو ألأم مولود، أما والحال هذه، فان هناك من يساويه في اللؤم وهم آباؤه .

ولكننا نرى أن في هذا الشرح شيئا غير قليل من التكلف والتصنّع، فضلاً عن أن البيت السابق لهذا البيت، وما تضمنه هذا البيت نفسه من عبارات مثل :

شيء من مشابهة، وطفل لفّ في خرق ...، لا ينسجم مع المعنى الذي أورده العكبري وغيره من الشراح.

فالشاعر في البيت السابق الذي يقول فيه :

واين موقع حدِّ السيف من شبح بغير رأس ولا جسم، ولا عنق

يقدِّم صورةً جلية للمهجو من حيثُ كونُه شخصاً نحيلَ الجسم، ضئيل الحجم، وهو يتخيله كالشبح الهزيل . ثم وجدناه ينتقل، في هذا البيت، ليبرز فيه بعض مظاهر الوجود التي تقربه من الرجال كالتلفُّع باللثام، وبعض

المشابهة في الوجه وغيره، ولولا هذه المظاهر لكان هذا المهجو لصغر حجمه وضآلته يمثل الأم طف لف في خرق .

13) وجاء في 35/394/2 قوله

إذا اشتبهت دموع في خدود　　　تبين من بكى ممَّن تباكى

والصواب المنسجم مع المعنى ، في تقديرنا ، هو :

إذا استنَّت دموع في خدود　　　تبيَّن من بكى ممن تباكى

وقد شرح اليازجي والبرقوقي هذا البيت بقولهما :

إذا تشابهت الدموع في خدود أصحابها، ظهر الذي يبكي عن حزن دفين ممن يتكلف البكاء، وقلبه خال من دواعيه .

وفي رأينا أن هذا البيت باشتماله، أو بتوهم الشراح أنه مشتمل، على كلمة " اشتبهت " أدت بمفسريه إلى هذا الشطط في الشرح والتصور، فنحن نتساءل: كيف يمكن أن يؤدي تشابه الدموع في الخدود إلى التمييز بين من كان بكاؤه صادقا ومن كان يتظاهر بذلك .

والصواب، في رأينا، هو ما ذكرناه آنفا، والمعنى الذي يمكن استخلاصه من البيت، من هذا المنطلق، هو أن انصباب الدموع وتدفقها بغزارة يكون دليلاً ومؤشراً على الباكي، في حين لا يكون بوسع المتباكي تحقيق مثل هذا الشكل من البكاء .

14) وجاء في 42/146/3 قوله

وظبا تعرف الحرام من الحل　　　فقد افنت الدماء حلالا

ولكننا نقدر أن الأصل في البيت هو :

وظبا تعرف الحرام من الحل　　　فقد أفتت الدماء حلالا

ويرشِّح ما نذهب إليه، ما أورده الشاعر، في صدر هذا البيت نفسه، من أن السيوف التي كان يتحدث عنها كانت على علم بالحلال والحرام . ومن هنا فقد جاءت فُتْياها بتحليل الدماء وإراقتها .

ونحن لا نرى وجهاً لقوله : أفنت الدماء، وهو في سياق حديثه ووصفه للسيوف ومعرفتها وتمييزها للحلال من الحرام، بل الصواب أن يترتب على تلك المعرفة فُتْيا تتناسب مع تلك المعرفة ونوعها .

15) وجاء في 4/202/3 قوله

أغناه حسن الجيد عن لبس الحُلى　　　وعادةُ العُري عن التفضل

ولكننا نرى أن الصواب هو :

أغناه حسن الجيد عن لبس الحلى　　　وعاده العرى عن التفضل

فالفعل " عاده " يرد في اللغة بمعنى " عداه " أي صرفه عن، أو أغناه عن . ولا شك في أن قولنا " عداه " بهذا المعنى، أفضل من قولنا : " وعاده العري " إذ إن العري ليس عادة من العادات، وإنما هو صفة ملازمة للغزال.

وقد درج المتنبين في حالات كثيرة، على استعمال بعض الأفعال المقلوبة عن غيرها ومن أمثلة ذلك شأي وشاء، ورأى وراء، وغيرهما . وقد ورد الفعل " عدا " نفسه وبعض مشتقاته، عند المتنبي، في مواضع كثيرة، منها قوله في 13/308/2 :

عشية يعدونا عن النظر البكى   وعن لذة التوديع خوف التفرق

وقوله في 1/245/3 :

ارى حُلَلا مُطوَّاة حسانا   عدانيَ أن أراك اعتلالي

16) وجاء في 28/208/3 قوله :

إذا بقيتَ سالما أبا علي   فالملك لله العزيز ثُمَّ لي

وكلمة " ل " هنا بمعنى أملك، أو احكم .

ونحن نتساءل : كيف يمكن للشارع – على قراءة البيت كما ورد في شرح العكبري وغير من الشراح – أن يخاطب ممدوحه طالبا له السلامة، ثم يعقب على ذلك بقوله: بأن الملك، بعد سلامتك، لله العزيز، ثم له أي للشاعر ؟ .

ولا شك فيه أن القراءة، التي قدمناها للبيت، تقدم معنى متوازنا بمكن الاطمئنان له . ومن ناحية أخرى، فان أبا الطيب قد استعمل فعل الأمر الذي اقترحناه في قراءة هذا البيت في موضع سابق من ديوانه . فهو يقول في 1/89/3 :

غظِ ، ارمِ ، صبِ ، احمِ ، اغزُ ، اسبِ ، دعْ ، زع ، دِ ، لِ ، اثنِ ، نلْ .

17) وجاء في 14/314/3 قوله

فهنَّ يُضْرَبنَ على التَّصهال   كلُّ عليل فوقها مختال

ولكن القراءة الصحيحة للبيت في تقديرنا هي :

فهن يضربن على التصهاك   كل عتيل فوقها مختال

ولا وجه – فيما نرى – لكلمة " عليل " هنا . ولعل الذي دفع الشراح إلى اختيار هذه الكلمة، هو ما ورد، في البيت التالي مباشرة، من كون الفرسان، الذين كانوا يمتطون صهوات الجياد، يمسكون أَفواههم خشية السعال :

يمسك فاه خَشْيةَ السعال   من مَطْلِعِ الشمس إلى الزوال

فاعتقدوا أن السعال، الذي كانوا يمسكون أفواههم خوفا منهم، كان ناجما عن علة فيهم.

ولكن قراءة البيت السابق على بيتنا، الذي نحن بصدده هنا، وهو البيت الذي يقول فيه :

وشدَّةِ الضنِّ لا الآسْتبدال   ما يتحركن سوى انسلال

توضح السبب الذي من أجله أمسكوا أفواههم من السعال، وهو محاذرة استماع الوحوش لهؤلاء الرجال عند محاولتهم اصطيادها .

أما استبدالنا كلمة " عتيل " بكلمة " عليل " هنا فيرتبط – من ناحية –خ بكون معنى جذر هذه الكلمة يحمل – فيما يحمل – معنى الصلابة والشدة، وهو ما يناسب الفرسان، فضلا عن أن مُناخَ القصيدة يرتبط بالصيد، وما يعد له من قسيّ، حيث تعني كلمة " العتل " – فيما تعني – القسيَّ الفارسية، وقد وردت هذه الكلمة في القصيدة نفسها، وذلك في قوله في 39/320/3 :

قد أَوْدَعَتْها عَتَلُ الرجال   في كلِّ كَبِدَيْ نصال

كما يرتبط هذا الاختيار لكلمة " عتيل " – من ناحية أخرى – بما يتناسب مع سمة الخُيَلاء التي وصف الشاعر، في نهاية البيت، أولئك الفرسان . ولا نرى أيَّ وجه دلالي يمكن بوساطته ربط كلمة " عليل " بكلمة " مختال " المجاورة لها .

18) وجاء في 43/320/3 قوله

لا يتشكَّينَ من الكلال   ولا يُحاذِرْنَ من الضَّلال

ولكننا نرجح أن يكون الصواب المتسق مع المعنى العام للقصيدة هو :

لا يتشكَّينَ من الكلال   ولا يحاذِرْنَ من الصِّلال

على اعتبار أن كلمة " الضَّلال " إنما هي تصحيف لكلمة " الصِّلال " بمعنى الأفاعي . إذ إن من عادة الوعول والوحوش بعامة أن تحذر في سيرها، في الغابات والجبال، الأَفاعيَ، فيكون معنى البيت، على هذا، أن الوعول، المنحدرة بعد صيدها، كانت تهوي من أعالي الجبال إلى أسفلها دونما شكوى من تعب أو حذر من عدوان .

19) وجاء في 29/13/4 قوله :

يا سيف دولة هاشم من رام أن   يلقى منالك رام غير مرام

ولكننا نرى أن الصواب هو :

يا سيف دولة هاشم من رام أن   يلقى مثالك رام غير مرام

وقد شرح العكبري، وتابعه في ذلك البرقوقي، هذا البيت على أنه مشتمل على كلمة " منالك " بمعنى " غايتك " ثم شرحنا البيت – من هذا المنطلق – على نحو متشابه .

ونحن نرى – من جانبنا – أن الصلة بين الفعل " يلقى " والمفعول به " منال " في هذا السياق، على نحو خاص، ضعيفة بل واهية . وقد ذهب العكبري – في شرحه لهذا البيت – إلى أن " من طلب أن ينال مطلبك، فقد طلب ما لا يكون ولا يوجد " ونحن نتساءل فنقول : ما المطلب الذي يرجى أن ينال ويعثر عليه ؟ .

لذا فإننا نرجح أن تكون كلمة " منالك " مصحفة عن كلمة " مثالك " ، وخاصة أن المتنبي يستعمل كلمة " مثال " في معرض حديثه عن ندره، أو استحالة العثور على نظير للمدوح .

20) وجاء في 3/15/4 قوله :

آل الفتى ابن شَمُشْقيقٍ فأحنثه   فتى من الضَّرب تنسى عنده الكلم

غير إننا نرى أن الصواب هو :

آلى الفتن ابن شَمُشْقيقٍ فأحنثه   فتى من العُرْبِ تنسى عنده الكَلِمُ

فالشاعر – في صدر البيت – يتحدث عن بطريق الروم، وهو ابن شمشقيق، ثم ينتقل – في عجز البيت – للحديث عن سيف الدولة الذي تؤدي " هيبته " في النفوس جميعا إلى النسيان وعدم القدرة على التفوه بأي حديث، أو القيام بأية مبادرة كائنة ما كانت .

ونحن نعتقد أن النسيان والذهول الذي ينتاب الموجودين في حضرة سيف الدولة لا يعود إلى ضرب أو نحوه، وإنما يرجع إلى صفة فطرية، في هذا " الفتى العربي " يتأثر بها كل من ينظر إليه أو يقف أمامه .

وعلاوة على ذلك، فالشاعر يقدم، في هذا البيت، صورتين متقابلتين: صورة البطريق الرومي وما آل إليه حاله من حنث لعهده ونكث لوعده، وصورة الفتى العربي وما تفعله حضرته ومهابته في نفوس غيره من الناس .

لقد سبق لأبي الطيب أن استعمل هذه الصورة الشعرية، وما يشبهها، بهذا المعنى في مواضع كثيرة من ديوانه .

ومن أمثلة ذلك قوله في 19/59/3 :

عن ذا الذي حُرمَ الليوثَ كمالَه   يُنْسى الفريسةَ خوفه بجماله

وقوله في 17/19/1 :

جمد القطار ولو رأته كما نرى   بهتت فلم تتبجس الأنواء

وغير ذلك .

21) وجاء في 40/24/4 قوله :

والأعوجية ملء الطُّرْق خلفهم   والمشرفية ملء اليوم فوقهم

غير أننا نرى في كلمة " اليوم " تحريفا لكلمة " اللُّوح " بمعنى الجو، أو الفضاء، فيكون البيت على هذا، هكذا :

والأعوجية ملء الطُّرْق خلفهم   والمشرفية ملءَ اللُّوح فوقهم

ولقد شرح العكبري هذا البيت قائلاً : إنَّ السيوف قد ملأت " اليوم " ، ألانها تعلو الجو، وتنزل عند الضرب في الهواء، فأينما كان النهار كانت السيوف .

وفي رأينا أن في هذا الشرح ما فيه من التصنع والافتعال، وذلك عندما ربط بين اليوم أو النهار عند الضرب في الهواء، فأينما كان النهار كانت السيوف .

وفي رأينا أن في هذا الشرح ما فيه من التصنع والافتعال، وذلك عندما ربط بين اليوم أو النهار كما ذكر، والجو . ولسنا، بل ليس البيت في حاجة إلى مثل هذه الإطالة والافتعال . فكلمة الجو تقابلها في اللغة كلمة " اللُّوح " التي وردت في شعر المتنبي بهذا المعنى، وعلى هذا يمكننا أن نقوم بربط مباشر بين المشرفية والجو، ويكون معنى البيت، على التقدير الذي ذهبنا إليه، هو : أن الخيول كانت تملأ الطرق وراء أولئك المنهزمين، وأن الرماح كانت تملأ الجو من فوقهم، وفي هذا توكيد لصورة سبق للمتنبي أن أوردها في بيت سابق عندما قال :

صدمتهم بخميس أنت غرته   وسمهريته في وجهه غمم

أما فيما يتعلق بكلمة " اللَّوح " التي أوردناها، فهي ليست غريبة عن معجم الشاعر، فقد سبق له أن استعملها في شعره، ويحضرنا، في هذه العجالة، قوله في 29/254/1 :

لو كنت بحرا لم يكن لك ساحل   أو كنت غيثا ضاق عنك اللُّوح

22) **وجاء في 133/4 – 134/1–2 (251) قوله :**

أعن إِذْني تهب الريح رهواً   ويسري كلما شئت الغمام
ولكن الغمام له طباع   تبجُّسُهُ بها وكذا الكرام

إن المناسبة، التي أحاطت بهذين البيتين، لا ترشح استعمال الشاعر لكلمة " الكرام " في البيت الثاني . فقد طلب من المتنبي، في هذين البيتين، كما ذكر اليازجي أن يقول مدحا، وقدمت له، من أجل ذلك، الهدايا، غير أنه انبرى معتذرا، وقدَّم، بين يدي اعتذاره، مقارنة بين الغمام وشاعريته، فكما أن الغمام ينهمر بالمطر عفوا دونما

تدخل إرادة خارجية، فإن شاعريته لا تنبثق بالشعر قسرا، شأنه في ذلك شأن الغمام .

ومن هذا المنطلق، فإننا نرشح إحلال كلمة " الكلام " بدلا من كلمة الحرام، ونقدر كون الكلمة الأخيرة محرفة عن الكلمة التي اقترحناها في موضعها .

23) **وجاء في 4/169-3/170-4 قوله :**

ولم يكفها تصويرُها الخيلَ وحدها   فصوَّرت الأشياءَ إلا زمانَها
وما ادَّخرتها قدرةً في مُصَوَّرٍ   سوى أنها ما انطقت حيوانها

والصواب الذي نراه هو :

ولم يكفها تصويرها الخيل وحدها   فصوَّرت الأحياء إلا زمانها
وما أعجزتها قدرة في مُصَوَّرٍ   سوى أنها ما انطقت حيوانها

إن المناسبة، التي أحاطت بأبيات القصيدة، ومنها هذان البيتان، تؤيد التصويب الذي اقترحناه، والذي نعدُّ فيه كلمتي " الأشياء " و " ادخرتها " كلمتين محرفتين عن كلمتي " الأحياء " و " أعجزتها " . فأبيات القصيدة – في مجموعها – تعبر عن موقف الشاعر من هدية مؤلفة من ثياب رسمت عليها صور اشتملت على خيول وأشخاص وأدوات حربية مختلفة، قدمت له من ممدوحه سيف الدولة، ولكن الشاعر – في هذين البيتين – يركز، في رؤيته لهذه الصور، على ما تضمنته من رسوم لخيول وكائنات حية أخرى متقنة الرسم والصنع، بحيث لا تختلف عن الأحياء الفعلية أو الحقيقية إلا في عدم القدرة على إبراز العمر (أي الزمان)، والحياة، والنطق لتلك الأحياء في تلك الصور .

ولعل الأبيات الأخيرة، التي ذيل بها الشاعر قصيدته، والتي عبر فيها عن أمنيته في كون تلك الصور والرسوم حقائق مادية لا مجرد صور يرشح هذا الذي نذهب إليه .

24) وجاء في 4/36/3 قوله :

بحب قاتلتي والشيب تغذيتي   هواي طفلا وشيبي بالغ الحلم

وفي رأينا أن الصواب يتم بقراءة البيت على النحو الآتي :

بحسب قاتلتي والشيب تفديتي   هواي طفلا وشيبي بالغ الحلم

وقد شرح العكبري، ومعه غيره من الشراح، هذا البيت بمعنى أن الشاعر قد تغذَّى بحب قاتلته وشيبه، فقد أحب منذ طفولته، وشاب منذ بلوغه الحلم .

وفي رأينا أن هذا الشرح، المنبثق من قراءة البيت على النحو الذي تصوره الشراح، لا يقدم معنى متماسكا. فهو يضع الحب والشيب في منزلة واحدة من حيث علاقتُه الماضية بهما . وهذا أمر لا نعتقد صحته. إذ كيف يستوي حبّ من يتغزل بها ويبكي لفراقها، كما ذكر في الأبيات التالية، مع السبب الذي نفر منه وعدَّه ضيفا متطفلا غير ذي احتشام كما ذكر في البيتين السابقين .

ونحن نعتقد أن التفسير، الذي افتعله الشّراح، ناتج عن احتمال وقوع تحريف في كلمتي " بحسب " و " تفديتي " اللتين نعتقد سهولة تحولهما إلى ما أورده الشراح أي " بحب "، و " تفديتي " .

ومن منطلق تصورنا للبيت فإن معناه يكون على النحو الآتي :

يكفي محبوبتي والشيب ما بلوته من تفدية لهواي منذ كنت طفلا، وما عانيته من شيب منذ بلغت الحلم .
وتجدر الإشارة إلى أن المعجم الشعري لأبي الطيب اشتمل على كلمة تفدية في مواضع منها قوله4/123/1 :

حاولن تفديتي وخفن مراقبا　　　فوضعن أيديَهَنَّ فوق ترائبا

خاتمة

وبعد، فهذه الملاحظات الخاطفة، التي ألمحنا إليها في الصفحات السابقة، لا تعدو أن تكون مجردَ إشاراتٍ إلى بعض ما تخلل ديواناً مهما من دواوين الشعر العربي من أخطاء، أو، قل إن شئت، هفوات، كان بعضها ناتجا عن تصحيف أو تحريف، وكان بعضها الآخر ناجما عن سوء في ضبط بعض البنى أو التراكيب . ولقد ترتب على هذين النوعين من الخلل – كما ذكرنا في أثناء مناقشتنا لها – انحراف دلالي، لا نعتقد أن شاعرا عظيما كأبي الطيب يمكن أن يقع فيه، أو شارحا كبيرا كأبي البقاء يمكن أن ينزلق إليه.

ولم تكن ملاحظاتنا الانتقائية، التي سجلناها آنفا، على نحو موجز، هي كل ما أصاب الديوان – في متنه وحواشيه – من انحراف، فقد تضمن هذا الكتاب، بأجزائه الأربعة، كثيرا من القصور، الذي ما كان المرء ليتوقعه ممن قاموا بضبطه وتصحيحه، وهم – في واقع الأمر وحقيقته – علماء معروفون بالدقة والتثبت .

وعلى هذا، فإننا نعتقد – كما ذكرنا في فاتحة هذا البحث – أن هذا الديوان – في وضعه الحالي – بحاجة إلى تحقيق جديد يخرج فيه على نحو يتناسب ومكانة صاحبه وشارحه ومحققيه في آن واحد .

المراجع

(1) ديوان أبي الطيب المتنبي، بشرح أبي البقاء العكبري . ضبطه وصححه ووضع فهارسه: مصطفى السقا، وابراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي . طبعة دار الفكر (د.ت) .

(2) ديوان شوقي، تحقيق الدكتور أحمد الحوفي . دار نهضة مصر للطبع والنشر في الفجالة، القاهرة، 1979م.

(3) كتاب العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، للشيخ ناصيف اليازجي، المطبعة الأدبية في بيروت. سنة 1305 .

(4) شرح ديوان المتنبي، وضعه عبد الرحمن البرقوقي، مطبعة الاستقامة، القاهرة 1928م .

(5) لسان العرب، لابن منظور، تحقيق عبد الله على الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف بمصر 1980م .

(6) المعجم الوسيط، بإشراف مجمع اللغة العربية بالقاهرة. مطابع دار المعارف بمصر، ط2،سنة1973 .

(7) مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، للدكتور رمضان عبد التواب مكتبة الخانجي بالقاهرة ط1 . سنة 1986 .